البناء

السنة السابعة / الجمعة / 29 كانون الثاني 2016 / العدد 1992
Seventh year / Friday / 29 January 2016 / Issue No. 1992

# انخفاض أسعار النفط وتأثيره على إيران

■ حميدي العبدالله

عند بدء انخفاض أسعار النفط قبل عام تقريباً من الآن وضع كثيرون هذا الانخفاض في إطار المؤامرة التي دبّرتها الولايات المتحدة ونفذتها السعودية بهدف إلحاق الأذى بكلّ من إيران وروسيا، لا سيما أنّ الصراع بين الولايات المتحدة وروسيا قد اندلع على خلفية انفجار الأزمة في أوكرانيا وتصاعد مواقف موسكو المعترضة على السياسة الأحادية للولايات المتحدة.

وصلت أسعار النفط الآن إلى أدنى مستوى لها وقد تهبط الأسعار أكثر، وبات واضحاً أنّ الضرر لم يعد محصوراً بروسيا وإيران، بل إنّ الدول الخليجية المنتجة للنفط، ولا سيما المملكة العربية السعودية لحقها ضرر مماثل للضرر الذي تسبّب به انخفاض أسعار النفط لإيران وروسيا.

بات السؤال المطروح الآن من يتحمل أكثر إيران أم المملكة العربية السعودية نتائج انخفاض أسعار النفط؟

من الواضح أنّ إيران أكثر قدرة على الاحتمال والتكيّف مع انخفاض أسعار النفط وذلك بسبب العوامل الآتية:

أولاً، إيران بعد رفع العقوبات يحق لها أن ترفع إنتاجها، وقد تحدّثت التقارير عن زيادة الإنتاج الإيراني بأكثر من 500 ألف برميل يومياً، وسيرتفع هذا الرقم في الأشهر القليلة المقبلة، ومما لا شك فيه أنّ عائدات هذه الزيادة في الإنتاج ستوقف الخسائر الناجمة عن انخفاض الأسعار لجهة مستوى إجمالي العائدات، ولكن المملكة العربية السعودية لا تستطيع زيادة إنتاجها للتعويض عن هبوط أسعار النفط، لأنها في الأساس رفعت إنتاجها إلى المستوى الأقصى في الحصص التي تحددها منظمة أوبك لكلّ دولة منتجة.

ثانياً، إيران بعد رفع العقبات ستحصل على أموالها المجمّدة في البنوك الغربية، وثمة رقمان يجري تداولهما، البعض يتحدّث عن 32 مليار دولار، والبعض الآخر يتحدث عن 100 مليار دولار، وبمعزل عن أيّ من الرقمين هو الصحيح فإنّ ذلك يضيف إلى خزانة الدولة واحتياطي إيران من العملات الأجنبية مبالغ كبيرة تساعد إيران على التكيّف مع هبوط أسعار النفط في حين لا تحصل الدول الأخرى المنتجة وعلى رأسها المملكة العربية السعودية على أيّ شيء مماثل.

ثالثاً، العقوبات والحصار الذي فرض على إيران، وعمره عمر الجمهورية الإسلامية، فرض على الاقتصاد الإيراني التكيّف، وعدم الاعتماد على النفط وحده، ولهذا فإنّ الاقتصاد الإيراني لا يعتمد على النفط والغاز وحسب، كما هو حال دول كثيرة منها المملكة العربية السعودية، وبالتالي فإنّ انخفاض أسعار النفط لن يكون له تأثير كبير على الاقتصاد الإيراني وعلى موارد الخزينة، في حين أنّ دولاً أخرى مثل السعودية يشكل النفط مورداً أساسياً لتغذية الخزينة، وتفعيل أداء الاقتصاد.

رابعاً، إيران ما بعد رفع العقوبات ساحة أساسية لاستقبال الاستثمار الخارجي لتعويض ما فاتها في سنوات الحصار التي امتدّت إلى أكثر من ثلاثة عقود، وبديهي أن يؤدّي ذلك إلى ارتفاع معدّلات النموّ حتى بالمقارنة مع الدول التي لا تعتمد على النفط.

مجمل هذه العوامل تشير إلى أنّ إيران أقلّ دول العالم المنتجة للنفط تأثراً بهبوط أسعاره.

# مَن يقف في مواجهة مَن؟ العالم في مواجهة «داعش» أم «داعش» في مواجهة العالم... إلا «إسرائيل»؟

■ ميشيل حنا الحاج

هذه الحرب الدائرة حالياً ضدّ «الدولة الإسلامية – داعش»، تبدو للمراقبين وكأنها فعلاً حرب عالمية ثالثة، كما وصفها العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني، ولكن الرئيس الأميركي باراك أوباما رفض إطلاق هذا الوصف عليها، علماً أنّ الوقائع والمؤشرات توحي بذلك. كلّ ما في الأمر أنها نسخة هزلية من الحرب العالمية الثانية.

فهناك الآن تحالفات عسكرية عدة تضمّ مجموعة من الدول. وأكبر هذه التحالفات هو التحالف الأميركي الذي يضمّ 65 دولة. والى جانبه تحالف سعودي إسلامي يضمّ 34 دولة، ويقابل هذين التحالفين تحالف روسي يضمّ أربع دول فحسب، في وقت سعت فيه فرنسا إثر هجمات «داعش» في باريس قبل شهرين من الآن، إلى إنشاء تحالف آخر، فقام الرئيس هولاند بجولة شملت دولاً عدة أبرزها روسيا وبريطانيا والولايات المتحدة، لكنه لم يحقق نجاحاً واضحاً، اذ كانت معظم الدول القادرة على ممارسة ضغط عسكري على «داعش»، قد انضمّت إلى التحالفات السابقة بما فيها فرنسا المنضوية تحت جناح التحالف الأميركي.

وعلى أرض الواقع، فإنّ الدول التي خاضت الحرب العالمية الثانية ضدّ ألمانيا، (التي التحق بها بعد نشوب الحرب كلّ من إيطاليا ومن ثم اليابان ودول أخرى صغيرة)، هي الدول ذاتها التي تخوض الآن حرباً شبه عالمية ضدّ «داعش»، (احتراماً لرغبة الرئيس الأميركي بعدم تسميتها حرباً عالمية ثالثة خلافاً لرؤية العاهل الأردني). بل وعلى أرض الواقع، تضمّ التحالفات الجديدة، دولاً كانت تحارب الحلفاء في الحرب العالمية الثانية كألمانيا وإيطاليا واليابان التي كانت آنئذ تقاتل دول التحالف الغربي والشرقي، ولكنها الآن منضوية تحت جناح التحالفات الجديدة وفي صف واحد معها.

وهذا يعني أنّ الدول المتحاربة في الحرب العالمية الثانية كافة، سواء المنضوية تحت جناح المانيا، كإيطاليا واليابان، والتي اجتمعت في صفّ واحد أطلق عليه اسم تحالف المحور، أو المنضوية تحت جناح التحالف المضادّ والمسمّى بتحالف الحلفاء، وتشكلت من كلّ من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي (روسيا الآن) وقاتلت الاحتلال النازي، والإيطالي الفاشي، والياباني الامبراطوري، كلها معاً، قد باتت الآن (أيّ التحالفين المتضادّين) مجتمعة في صف شبه واحد، (وأقول شبه واحد لوجود خلافات نأمل ألا تطول بين استراتيجية التحالف الأميركي والتحالف الإسلامي، مقابل التحالف الروسي)، ومجمعة على مقاتلة «داعش»، التي لا تشكل إلا حجم رجل قزم قياساً بحجم المارد ألمانيا، والدول التي قاتلت إلى جانبها في الحرب العالمية الثانية، أيّ إيطاليا واليابان ودول أخرى صغيرة.

ولكن هذا الإجماع على مقاتلة داعش، والذي بدأه التحالف الأميركي منذ منتصف العام 2014، أيّ قبل عام وسبعة أشهر، وانضمّ إلى محاربتهم التحالف الروسي قبل أربعة أشهر، والتحالف الإسلامي قبل شهر... ومع ذلك لم توفق هذه التحالفات كلّها، في إحراز نصر واضح على «الدولة الإسلامية – داعش»، التي هي ليست دولة، كما قال الرئيس أوباما في أحد خطاباته، منبّهاً الأميركيين بأنها «تسمّي نفسها دولة وهي ليست دولة، إذ لم يعترف بها أحد، وتسمّي نفسها إسلامية، وهي ليست إسلامية، لأنها تقتل المسلمين».

فالأردن كان أكثر الدول إحساساً بخطر «داعش» بعد سورية والعراق اللتين اكتوتا بنارها أكثر من غيرهما. ولكن الأردنيين كانوا يقدّرون بأنّ نجاح «داعش» في السيطرة على العراق، أو على سورية، أو على كلتيهما معاً، انما يؤدّي في نهاية المطاف إلى التوجه نحو الأردن، باعتباره الحلقة الأضعف في دول الجوار. وهذا ما يفسّر الأسباب التي استدعت الأردن للدخول في كلّ التحالفات التي أنشئت بهدف مقاتلة «داعش». فهو عضو في التحالف الأميركي، وفي التحالف الإسلامي، وفي التحالف الروسي أيضاً.

ولكن لابدّ من التنويه، أنّ هذه التحالفات قد حققت على أرض الواقع بعض النجاح في قتالها ضدّ «داعش». ويقول «عاموس جلبوع»، الصحافي العامل في صحيفة «معاريف» «الإسرائيلية»، إنّ «الدولة الإسلامية قد حققت نجاحاً كبيراً في العام 2014، لكنها تراجعت بعض الشيء في عام 2015».

فعلى أرض الواقع الذي لا يمكن إنكاره، خسرت «داعش» مواقع في العام الماضي، كانت قد سيطرت عليها في عام 2014، ومنها مواقع في محافظة صلاح الدين العراقية كتكريت مثلاً، وكذلك في محافظة التأميم (أيّ كركوك)، وقد خسرت الموقعين خلال عام 2015، كما خسرت مدينة الرمادي في محافظة الأنبار مع بدايات العام 2016، وخسرت أيضاً في العام ذاته (أي 2016)، حليفها في الإرهاب – الصديق اللدود – جبهة النصرة، مدينة الشيخ مسكين في سورية. أضف إلى ذلك خسارة بعض مصادر تمويلها، وهو النفط السوري والعراقي الذي تبيعه بثمن بخس. والأهمّ من ذلك أنّ قدرتها على تجنيد مزيد من المقاتلين، كما كان بوسعهم أن يفعلوا خلال العامين الماضيين، قد تباطأ الآن بعض الشيء إزاء التشدّد في مراقبة الدول الغربية (وخصوصاً في فرنسا وبريطانيا) للمغادرين من أراضيها وفي نيّتهم التوجه نحو سورية أو العراق. إضافة إلى اضطرار تركيا، نتيجة ضغوط الدول الغربية عليها، لإغلاق حدودها ولو نسبياً، أو مؤقتاً، في وجه أولئك الذين ينوون التوجه نحو العراق أو سورية، مما أدّى إلى ظهور كمّ أقلّ من المقاتلين في صفوف «داعش»، لا يكفي لتعويض خسائرهم للمقاتلين الملتحقين في صفوفها والذين قضوا بنيران القوات المتحالفة ضدّها، سواء في الجانب العراقي أو في الجانب السوري.

إلا أنّ هذه الإنجازات للعديد من التحالفات، تعتبر إنجازات محدودة على ضوء قدراتها الكبيرة، وقياساً إلى صغر أو ضآلة قدرات «داعش» العسكرية. فإذا كان التحالف الغربي متضامناً مع الاتحاد السوفياتي، قد استطاعا معاً هزيمة كلّ من ألمانيا ذات القدرات العسكرية الجبارة، وإيطاليا، بل واليابان التي كانت أول من طرح العمليات الانتحارية (قبل ظهور الدولة الإسلامية – داعش بسنوات طويلة)، والتي نفّذها الطيارون الكاميكاز اليابانيون، فتعمّدوا الارتطام بطائراتهم بالبوارج الأميركية والغربية، مضحّين بأرواحهم، بغية تدمير تلك البوارج وهزيمة أعداء بلدهم وامبراطورهم ذي الهالة الإلهية... فإنّ قدرات «داعش» العسكرية، لا تقاس بالقدرات العسكرية التي توافرت لدى الألمان واليابانيين. فأولئك، أيّ تحالف دول المحور، قد توفرت لهم مدفعية ثقيلة جداً وبعيدة المدى، ومضادّات أرضية للطائرات المعادية المحلّقة في أجوائهم، وهو ما لم يتوافر بعد في أيدي «داعش» التي تستجدي تزويدها بمضادّات أرضية فعّالة، بل وبصواريخ أرض جو ضدّ الطائرات المغيرة عليها.

ومن ناحية أخرى، وذلك هو الأهمّ، فإنّ دول تحالف المحور في الحرب العالمية الثانية، كان يضمّ ملايين الجنود الذين يقدّرون بثلاثة ملايين جندي في الجانب الألماني والجانب الياباني إضافة إلى الجنود الطليان، وذلك مقابل عشرات الآلاف من المقاتلين في جانب «داعش»، والذي قد لا يزيد عدد مقاتليه على أربعين أو خمسين ألف مقاتل.

ولعلّ أهمّ نقاط الضعف في هذه الحالة، ويرجح عدم الجدية في جانب التحالف الأميركي على الأقلّ، تمثل بعدم استخدامهم القوات البرية التي تعهّد الرئيس أوباما للكونغرس بعدم استخدامها، عندما طلب منه الإذن لمقاتلة «داعش»، مكتفيا باستخدام القوات الجوية وحدها رغم علمه بعدم جدواها دون جنود على الأرض. فالقوات الوحيدة التي تقاتل على الأرض هي قوات سورية وقوات عراقية، مع وجود ضعف هائل في بناء القوات العراقية، نظراً لقيام الحاكم العسكري الأميركي في العراق بول بريمر بحلّ الجيش العراقي فور توليه المسؤولية هناك عام 2003. ورغم شروع الإدارة العراقية الحالية، وبعد زوال الاحتلال، بإعادة بناء الجيش العراقي، إلا أنّ بناءه يظلّ هشاً، وذلك نتيجة الحساسية بين المنتسبين إلى صفوفه من طائفتي السنة والشيعة، وهي الحساسية الناتجة عن بذور الفتنة بين الطائفتين التي زرعها الأميركيون بينهم خلال فترة الاحتلال الأميركي للعراق. ويقول الصحافي «الإسرائيلي» عاموس جلبوع، إنّ من يقاتل «داعش» الآن، هم الأكراد... أكراد سورية وأكراد العراق.

وفي المقابل يتوقع جلبوع، ألا تسكت «داعش» طويلاً. فلا بدّ أن تضرب، كعادتها، في مواقع الضعف في سورية وفي العراق، والأرجح أن تكثف عملياتها الانتحارية للتعويض عن خسائرها على الأرض. فالأرجح أن تضرب في كلّ مكان غير متوقع في العالم، كعادتها دائماً، وكما فعلت مؤخراً في اندونيسيا وباكستان. ويستدرك الكاتب «الإسرائيلي» مقدّراً أنّ ضرباتها قد تطال «إسرائيل» بقوله في مقاله: «فيما قد تكون إسرائيل على بؤرة الاستهداف» أيضاً. ولعلّ تلك العبارة هي ذرّ للرماد في العيون، لاستبعاد الاتهام من بعض العرب بأنّ «داعش» هي من صناعة «إسرائيلية»، بدليل سكوتها عنهم حتى الآن، وبدليل آخر هو أنّ جرحى داعش ومقاتلي المعارضة المسلحة في سورية، وهم بالمئات، غالباً ما يتلقّون العلاج في مستشفيات «إسرائيلية».

ولكن التقاعس الأميركي في مقاتلة «داعش»، وتلك الغارات الجوية المحدودة (بل البخيلة) التي ينفذها تحالف أميركي يضمّ 65 دولة، قياساً بالغارات الروسية المكثفة، إنما تكشف أيضاً، بل وتعزّز توجيه أصابع الاتهام نحو الولايات المتحدة بكونها أيضاً ضالعة بشكل أو بآخر، بعلاقة سرية خفية مع «داعش». وإلا كيف تستطيع أميركا هزيمة المانيا ذات القوة الجبارة، وهزيمة اليابان المزوّدة بروح الكاميكاز الانتحارية التي تقارن بالروح الانتحارية لدى مقاتلي «داعش» الموعودين بالجنة (كي لا نقول بالحوريات أيضاً)، وتعجز مع ذلك بعد قتال دام سنة وسبعة أشهر، عن إلحاق هزيمة واضحة بـ«داعش» التي لا تملك القوة الكافية، أو الكمّ الكافي أو النوعي من السلاح، كما لا تملك الصواريخ المضادّة للطائرات... ولا تملك أيضاً ذاك الكمّ الهائل من المقاتلين قياساً بجيوش ألمانيا وايطاليا واليابان في مرحلة الحرب العالمية الثانية... كيف؟؟

فإذا كان العالم كله يواجه «داعش» الآن، وليس نصفه في مواجهة النصف الآخر، كما في الحرب العالمية الثانية، فإنّ السؤال الذي يفترض طرحه بجدارة: مَن يقاتل مَن؟ هل دول العالم هي التي تقاتل «داعش»، أم أنّ «داعش» هي التي تقاتل العالم، بل وتهزمه أحياناً. فمَن يقاتل مَن؟

هذا سؤال على الولايات المتحدة أن تجيب عليه.

* عضو في جمعية الدراسات الاستراتيجية الفلسطينية THINK TANK
عضو مستشار في المركز الأوروبي العربي لمكافحة الإرهاب-برلين.
عضو في مركز الحوار العربي الأميركي-واشنطن.
عضو في مجموعة صوت اللاجئين الفلسطينيين.

# أهمية الشخصية الوطنية القيادية في زمن الحرب

■ د. حسام الدين خلاصي

وضّحت الحرب الأخيرة على المنطقة عموماً وعلى سورية خصوصاً الواقع السياسي والفكري الواقعي للشخصيات الوطنية التي برزت على الساحة العربية والمحلية، فجسّد الوقت الطويل لهذه الحرب المجنونة أهمية وجود الشخصية الوطنية على المستوى الجماعي وعلى المستوى الفردي لقيادة أيّ عمل وطني في طياته تبرز أهمية أن يكون هناك قائد لأيّ عمل وطني وبسرعة، ولم تتضح نماذج جيدة وواضحة لا في صفوف المعارضات الوطنية ولا في صفوف الموالاة (الذين لم يتبنّوا فكراً معارضاً في زمن الحرب في إطار منظم).

ضاع المواطن بين ضفتي الذهنية القديمة التي تمثلت في الدولة الأبوية والتي كانت تقدّم نماذج شخصيات وطنية قيادية جاهزة، وبين الانفتاح الحاصل بفعل الأزمة والإعلام المتسارعين، واللذين وضحا أنه يمكن أن يوجد قادة فكر (رغم كلّ التناقضات التي حملها الظاهرون في أثناء الحرب على المستوى الوطني والسياسي) ولو اختلفنا معهم في المبدأ والسلوك، لكن هذا المفهوم برز إلى السطح فجأة وهنا كان على المواطن أن يبحث عن مقوّمات وصفات تجعله إما ينخرط وراء قيادة لشخصية وطنية مفترضة وطارئة (ولم يجد في صفوف مجتمعه تلك الشخصية البارزة) أو أن يكون هو تلك الشخصية القيادية في مجتمع قلّت فيه القيادات المجتمعية، وهذا الإجراء الإسعافي لإنقاذ المجتمع رافقه التخبّط بين قادة المعارضة الوطنية وقيادات الموالاة المتراكمة... ونسي الجميع الشخصية الوطنية لأيّ قائد سياسي وركض الجميع خلف القيادة الحزبية والتمترس خلف الأفكار المسبقة لأنّ المواطن ليس لديه بديل، وعقله الحاضر لم يتحرك بالسرعة الكافية لإنتاج منظومة فكرية جديدة تتلاءم وطبيعة الحرب التي تشنّ على المنطقة وضاع بين الـ«أنا» وإرضائها وبين الـ«نحن» التي تحتاج للتضحية بالـ«أنا»، ساهم في ذلك استمرار طغيان المنظومة الفكرية السائدة قبل الحرب بالمفهوم المعرفي وطريقة إدارة المجتمع.

وبكلّ واقعية لم تبرز أبداً أية شخصية في المجتمع لتكون قيادة نشطة وطمر الإعلام المحلي الوطني ببروده وعدم اهتمامه بالمسألة الكثير من المبادرات من قبل الشخصيات التي حاولت ان تكون قيادية، وركز الإعلام الوطني على المؤسسات الحكومية الناجحة بما فيها ذاته ومؤسسته، ونسي أهمية إنتاج والمساعدة في إنتاج الشخصية الوطنية القيادية في زمن الحرب.

لقد تخبّط المواطن في إنتاج الشخصية الوطنية نتيجة ضعف المعرفة بتجارب الشعوب والانغلاق الفكري على الذات الوطنية واعتبار النموذج القديم هو الوحيد الصالح لمجابهة الهجوم على الوطن، ورغم ذلك فإنّ نهوض بعض الشخصيات من تحت ذلك الركام مهّد لبعث التساؤل وإثارة الفضول حول القدرات الكامنة لدى أفراد الشعب لمساعدة الوطن على التصدّي للحرب الظالمة التي تشنّ عليه، ولكن هذه الشخصيات سرعان ما ذابت مع تسارع الأحداث وغياب الخطة الفكرية والعملية وغياب التوقعات لما ستؤول إليه الأمور، فعدنا إلى الخطاب الجامد الذي لا ينتج إلا التشنّج والتعصّب، وتحوّلت الـ«نحن» إلى «أنا» من جديد (أنا بصيغة نحن أو لا أحد من قبل المعارضة أو الموالاة) وعاد المواطن إلى البحث من جديد عن النموذج القدوة في الشخصية الوطنية، وعاد ليسأل هل أصلح أنا لأكون شخصية وطنية وأقود مجتمعي وبقيت المسألة معلقة والتساؤلات مشروعة:

1 - لماذا لم ننتج حتى الآن شخصية وطنية قيادية في صفوف المجتمع؟

2 - لماذا نحارب الشخصيات الوطنية صاحبة المشروع الوطني إنْ وجدت ونناقش أفكارها بتجرد؟

3 - لماذا بتنا أقرب إلى التشتّت بين الانتماء إلى الحزبية الوطنية أو الوطنية الصرفة المختلطة؟

4 - لماذا لم يتمّ التكامل بين أطراف العمل السياسي في الوطن من أجل النهوض بالمسألة الوطنية سوية؟

5 - لماذا نجحنا في إدارة الدفة الاجتماعية في التكافل وتقديم العون وبإشراف الدولة وفشلنا في التكامل السياسي وبإشراف الدولة ذاتها؟

6 - ما هي مقوّمات الشخصية الوطنية القيادية لمجتمع في زمن الحرب؟

7 - لماذا لم تقدّم مشاريع سياسية جماعية وطنية من قبل كلّ التيارات السياسية الناتجة تفرض ذاتها بعد سنين طويلة من الحرب؟

وبعد هذه التساؤلات وبكلّ الواقعية نجد أنه من الضروري أن تتحدّد سمات الشخصية الوطنية القيادية في زمن الحرب لتتحوّل إلى قائد في مجتمعه، وأجدها حسب معرفتي بالواقع أن تكون كما يلي:

1 - أن تتميّز الشخصية الوطنية القيادية بالابتعاد عن أيّ شكل من أشكال التطرف السياسي والديني والطائفي والمناطقي تحت أيّ شعار ومهما كانت النوايا سليمة إلخ... بصورة معلنة مكتوبة نصاً وبسلوك سياسي عملاني مشاهَد ومتابَع ومتراكِم من قبل المواطنين.

2 - أن تتميّز الشخصية الوطنية القيادية بقبولها للدستور والقانون المعمول به في الوطن، ولا تقوم بخرقه تحت ايّ ظرف، وتطالب بتطويره لما فيه خدمة الوطن والمواطن لترتقي به إلى الأفضل دوماً.

3 - أن تتميّز الشخصية الوطنية القيادية بمال نظيف ومورد رزق نظيف ومعلن قبل وبعد انخراطها في العمل القيادي والسياسي.

4 - أن تتميّز الشخصية الوطنية القيادية بأنها تطرح مشروعاً وطنياً مكتوباً وواضحاً يعتمد في طياته على الانحياز إلى الوطن قبل ايّ انحياز إلى حزب أو تيار سياسي أو فكري.

5 - أن تتميّز الشخصية الوطنية القيادية بعدم تعطشها إلى السلطة لمجرد السلطة، بل تساهم في صناعة وتوجيه السلطة والنظام الذي يخدم الوطن، وتقوم بإعلان مواقفها الصريحة ضدّ اية خروقات للدستور والقانون، وتحث أتباعها على الاعتراض السلمي وفق ما نص عليه الدستور والقانون بكلّ شفافية.

6 - أن تتميّز الشخصية الوطنية القيادية بانحيازها إلى المواطن لأنه غاية الوطن.

7 - أن تتميّز الشخصية الوطنية القيادية بمرونتها وتقبّلها للآخر الذي يقدّم المساعدة والمشورة ويؤمّن بالعمل الجماعي.

8 - أن تتميّز الشخصية الوطنية القيادية بالانفتاح على كافة التيارات الوطنية التي تكون في مقام الشراكة بغض النظر عن حجمها وتمثيلها السياسي، لأنّ المطلوب للتشاركية هو الكفاءات العلمية والواقعية وليست الأحجام السياسية التي لا تعتبر مؤشرات واقعية نوعية في زمني الحرب والسلم.

كثيرة هي الصفات التي يجب أن تتوفر في الشخصية القيادية الوطنية، والقارئ يستطيع أن يضيف وينقص منها ما يشاء، ولكن هذا دليل على التفاعل مع صلب الموضوع ألا وهو غياب هذه الشخصية الضرورية جدا في زمن الحرب.

ختاما ً إنّ مثل هذه الشخصيات توفرها أسهل في سياق المجتمع المدني الوطني المموّل وطنياً والمنحاز إلى الوطنية فقط، ولن تجدها في صفوف التطرف الحزبي والديني والمذهبي وغيره مهما سلمت النوايا.

# سورية تحت قوس النصر

**- قد يستغرق الأمر شهوراً وربما أكثر من سنة حتى تتنظف الجغرافيا السورية من آخر بقايا الجماعات المسلحة، لكن بالمعنى السياسي والعملي فإنّ سورية تقف تحت قوس النصر.**

**- السقف الدولي والإقليمي الذي يظلّل التطورات المقبلة في سورية هو سقف حلفائها، فالأميركي والأوروبي يسلّمان بأنّ روسيا هي اللاعب الدولي الأول في سورية، والسعودي والتركي يكتشفان ضعف الغطاء لكلّ محاولات فرض معادلات جديدة.**

**- روسيا تقدّم الغطاء لإيران وحزب الله، وإيران بعد التفاهم النووي صارت القوة الإقليمية الصاعدة المعترف بها غربياً كقوة صناعة للاستقرار في سورية والعراق.**

**- سياسياً يتكرّس هذا في القرار الأممي 2254 الذي يقلب الحلّ السياسي من عنوان تنحي الرئيس السوري لحساب هيئة حكم بقرار من مجلس الأمن تتولاها قوى تابعة للغرب وحليفيه التركي والسعودي، إلى أولوية الحرب على الإرهاب بشراكة روسيا وإيران.**

**- الدولة السورية وجيشها ضرورة للفوز بهذه الحرب بتسليم من الجميع.**

**- دور الرئيس السوري ليس موضع تفاوض.**

**- الحل السياسي مسقوف بحكومة تحت ظلّ الرئيس وصولاً إلى انتخابات.**

**- الميدان يقول كلمته الفاصلة باتجاه واحد لنصر سورية.**

التعليق السياسي

# قفز الأرانب من الشبابيك الشاهقة... نحو الجزر

■ نارام سرجون

ما أصعب البوح بأسرار قلوبنا لمن نحبّه بصمت... ولكن ما هو أصعب منه هو البوح لمن لا نحب بما في قلوبنا تجاهه من جليد وصقيع وثلج ورياح قطبية، ونحن نعرف أنّ قلوبهم براكين تشتعل ناراً بالعواطف وبالحب لنا، كيف نقول لمن لا نحبّ أننا لا نحبهم بكلّ بساطة من دون أن نتأتئ ونتلعثم ونتعرّق ودون أن تشيح نظراتنا عنهم أو تطرق رؤوسنا، نبحث في مخازن التعبير وننتقي الكلام حائرين ونغسله بدموعنا واعتذاراتنا وننزع بأصابعنا الشوك والطعم المرّ ونلعق بألسنتنا حافات المعاني التي تجرح القلوب كحدّ الشفرة.

لكن ماذا عن أعدائنا وخصومنا ومن نكره ونحتقر؟ هل هناك حيرة فيما نحب أن نقول لهم؟ وهل هناك من داع لأنّ ننزع عن الكلام المسامير ونغسل السمّ عنه والدم والخلّ والملح، وننقيه من شظايا الزجاج كي لا تنغرز في عيونهم؟

سنقول للمعارضين الذين نحتقرهم والذين ينتظرون عند الباب الإذن الأميركي بالدخول إلى البيت السوري إنه لا يليق بهم الانتظار عند الأبواب وعلى العتبات، حيث تؤرجحهم الرياح الباردة، أو قد يلفح وجوههم لهيب الشمس الحارق، وقد يجلسون من شدّة التعب على الرصيف كما المشرّدون، وليس من عادة الرجال الانتظار على الأبواب، بل هذا من عادة كلاب الراعي يا سادة، وأنتم لستم كلاباً، بل بشر، والبشر لديهم كبرياء وكرامة وعقل يحلل ويفكر وليس غريزة وحاسة شمّ.

منذ أن اجتمع كيري مع رياض حجاب ومجموعته البائسة اليائسة وهناك جوّ من الإحباط والخيبة في صفوف المعارضة والهستيريا، لأنّ مغامرة رياض حجاب ورياض نعسان آغا وكثيرين آخرين في الخروج والقفز من النافذة في الطوابق العليا إلى أحضان رجال الإنقاذ الخليجيين، حيث الحريق تمدّد في البيت السوري، تلك القفزات من شاهق المناصب كانت من أجل أن يعود هؤلاء من الباب، كما تعود الحيوانات المدللة لتتمدّد على الأرائك قرب المواقد وتسترخي مسبّلة العينين وهي تتمتع بتدليك جلدها وشعرها بأيدي أصحابها الجدد، لكن الانتظار أمام الباب طال، وطال كثيراً، وكثر العواء والمواء وتركهم رجال الإنقاذ وذهبوا إلى جولة سباق الهجن، وأخيراً خرج كيري من الباب واشرأبّت الأعناق واهتزّت الذيول ورقصت طرباً، ولكن بدلاً من أن يشير كيري إليهم ويصفّر بشفتيه، معلناً الإذن بالدخول فإنه وضع في عنق كلّ منها حبلاً وسلسلة عليها اسمه، ثم ربط الحبل إلى أحد الأعمدة الخارجية، ومضى لا يلوي على شيء، كان مجتمع المنتظرين يظنّ أنّ كيري قد وصل ليجتمع بهم ليعطيهم البشارة، ولكن كيري ربطهم أمام الباب بانتظار وزير الخارجية الأميركي القادم بعد أشهر، وقال لهم معتذراً:

أنا آسف جداً يا جماعة، لأنّ مفاوضات جنيف ليست للسماح لأحد بالدخول إلى البيت بل لانتظار الوزير القادم، بعد انتخابات تشرين الثاني 2016.

ولكن أكثر ما يلفت النظر بعد حفلة ربط المعارضة إلى أعمدة بيوت الجيران هو تلك الجزرة العملاقة التي رمى بها مايكل راتني المبعوث الأميركي الخاص بسورية إلى المعارضين، وما فعله راتني هو التخدير العام والموضعي فقط وليس الجراحة، فبعد جو الغضب والخيبة وضع راتني أمام المنتظرين أمام الباب جزرة ضخمة جداً، لم يتمكن الرجل من حملها لثقلها بل أتى برافعة ضخمة (ونش) لتحملها وتضعها أمام المنتظرين ليتسلوا بقضمها وينسوا طعنة كيري، وكانت هذه الجزرة العملاقة عبارة عن رسالة مليئة بالوعود والمجاملات وتهدئة الخواطر وتبويس الشوارب، والمعارضون يتناقلون الرسالة وكأنها رسالة من الله وسورة من القرآن، وهم يرسمون آياتها الكبيرة باللون الأحمر ويعلقونها على الجدران، ففي تلك الرسالة «الجزرة» وعد راتني المعارضين بما يريدون أن يسمعوا من أنه لا يعترف الا بوثيقة جنيف 2012 والهيئة الانتقالية، وأنّ الولايات المتحدة ستقف مع المعارضة حتى النهاية والنصر، وبعد أن وعد وعوداً كثيرة وأقسم إيماناً عظيمة، أوصى الرجل في نهاية «السورة الأميركية» التي يجب أن تسمّى «سورة الجزرة» أو «سورة راتني» في الكتاب المقدّس للمعارضة، أوصى المعارضة ونصحها بالحضور إلى مؤتمر «جنيف 3» من أجل إثبات حسن النيات وكشف ألاعيب النظام وتنفيذ وقف إطلاق النار والمطالبة بإجراءات بناء الثقة وإدخال المساعدات الإنسانية، وغير ذلك.

وطبعاً قضمت المعارضة الجزرة الكبيرة ومضغتها... وعلى الفور ترجمت هضمها لـ«سورة الجزرة» من الكتاب المقدّس الأميركي ببيان هو نسخة طبق الأصل عن الجزرة العملاقة التي حملها راتني بـ(الونش)، فهي قبلت التفاوض وفق بيان جنيف 2012 تحديداً مع إجراءات بناء الثقة، كما وصفتها الجزرة وأوصتها، أيّ بإدخال المساعدات الإنسانية وفك الحصار عن المدن المحاصرة (طبعاً باستثناء كفريا والفوعة).

منذ خمس سنوات والمعارضة تأكل الجزر والعصي، فالغرب يقدّم لها الجزر والوعود الضخمة، والدولة السورية تضربها بالعصي، فهل يمكن لأحد أن يحصي كم وعداً تلقته المعارضة بأنها الأشهر الأخيرة قبل النصر والدخول إلى البيت السوري وتسلّم الحكم؟ لقد اتبعت الإدارة الأميركية سياسة الجزرات الصغيرة، فكلّ وعد كان مثل جزرة صغيرة عبارة عن مجرد أسابيع أو ثلاثة أشهر على الأكثر وأحياناً بضعة أيام، وذلك كان متعمّداً لأنّ الوعود طويلة الأجل كان من شأنها أن تحبط همّة المعارضين وآمالهم، إلا أنّ حقنهم بالأمل والانتظار فقط أسابيع أو أياماً معدودة كان ناجعاً، وكنت ألتقي ببعضهم وهم في غاية النشوة وهم يردّدون أمامي ما سمعوه بآذانهم من كبار المسؤولين الأميركيين والأتراك ومن أشباه الرجال، وكانت الجزرات لا تتوقف عن الوصول إلى قرب أفواههم، جلسات مجلس الأمن، تسريبات وثيقة الاطلاع، تحركات عسكرية للمارينز، الأسد المتأهّب، مناطق عازلة، نفد صبر تركيا، فرض مناطق إنسانية، الروس باعوا، الإيرانيون باعوا، توغل الأتراك، سقطت إدلب، فتوى الجهاد إثر فتوى الجهاد، لبيك يا سورية من مصر الإخوانية، إعادة انتخاب أردوغان، هبوط أسعار النفط الذي سيجعل روسيا تركع خلال أسابيع، سقوط أوكرانيا ومقايضتها بسورية، عاصفة الحزم التي ستمتدّ من البحر الأحمر إلى المتوسط، بل إنّ آخر هذه الوعود هو وعد سري من بوتين أنه سيتخلى عن الأسد عام 2017، الخ، الخ... ولكن لا شيء غير الصدى في المدى، ولا شيء غير الجزر، جزرة إثر جزرة، والعصي على المقاعد والاليتين، والأكتاف والأرداف.

المعارضون لا يزالون يأكلون الجزر بأنواعه، والجيش السوري وحلفاؤه اليوم يدحرون العدو التركي الأردوغاني من ريف اللاذقية، واليوم تقطع يد أردوغان من جذورها في اللاذقية وتسحق أصابعه وهو يصرخ بصمت ويرى أنّ الوجود التركماني يتلاشى من تلك الجبال، بل وسيكون من الصعب أن يقدر أردوغان على الاحتفاظ بإمارة إدلب أو حلب لفترة طويلة، خاصة أنّ المشاهد التي تصلنا من داخل تركيا تشير إلى أنّ أردوغان ربما سيبدأ بالخروج من شرق تركيا أيضاً قبل خروجه من حلب وإدلب، ولكي يحتفظ بائع الجزر التركي بشرق تركيا عليه أن يغادر شمال سورية، معضلة الغبي أردوغان أنه يحاول البقاء في شرق تركيا بإخراج الأكراد من المعارضة السورية، لأنه صار أمام جسم كردي ضخم ممتدّ من شريط الشمال السوري إلى عمق القلب التركي، وهو يرى أنّ إضعاف أكراد سورية وتجاهلهم حاجة ملحة لإضعاف أكراد تركيا وتجاهلهم، شرق تركيا يشتعل، واللهيب يصل إلى اسطنبول، تركيا تتوجّع وبدأت بالتقيّؤ، الأتراك حائرون في النقلة التالية، فهم إما أن يحاربوا دفاعاً عن تركيا في سورية أو في تركيا، ولكن الحرب داخل سورية ليست قرارهم بعد اليوم، ومع هذا لا يزال المعارضون يمضغون الجزر التركي.

وفي الجنوب يترنّح المعارضون ويتوسلون النجدة في ما بعد الشيخ مسكين، أما الغرب فإنه ترك المعارضين السوريين خارج النادي النووي كما يترك رواد المطاعم كلابهم في الخارج (عندما تكتب لافتة: ممنوع دخول الكلاب)، ودخلت أوروبا وأميركا مع الإيرانيين لتناول العشاء النووي وقرع الأنخاب وتوقيع الاتفاقات، والمعارضون ينتظرون بفارغ الصبر ويتوقعون خروج الراعي الأميركي ليقول لهم البشرى التي ينتظرونها: لقد أقنعنا الإيرانيين أن يتخلّوا عن الرئيس الأسد بين عامي 2020 و 2025.



السعودية أعطت المعارضين حقنة ضخمة في عروقهم من بول البعير، وجاءت بهم إلى الرياض، وطلبت منهم رفع السقوف إلى حدّ بناء ناطحات سحاب من الطلبات والشروط، ولكن في الحقيقة تريد السعودية من ناطحات السحاب أن تقايض في الملف اليمني الذي أتعبها وأثخنها وجعلها تحدّث نفسها وتفقد القدرة على النوم والطعام، وتفقد الرغبة في الحياة، وجعل الولد يتمرّد على أبيه، ومع ذلك فقد شرب المعارضون الوعد المقدّم في عبوات بول البعير وحسبوها عصير الجزر، والمعارضة لا تريد أن تعترف بالحقيقة أنّ هناك مساعي للبيع، سنترك لكم سورية أيها الحلفاء ولكن اتركوا لنا شيئاً من اليمن.

ولن يصل شهر تشرين الثاني/نوفمبر إلا ويكون المعارضون قد التهموا كمية كبيرة من الجزر والبرسيم وشربوا ما تيسّر من بول البعير، لأنّ سير المعارك يشير إلى أنّ عليهم أن يتشاءموا كثيراً، فالمعادلة السورية مطابقة للمعادلة الروسية والإيرانية، وهي أنّ هزيمة سورية أو تقسيمها وبال على روسيا وإيران، وهي لن تكون، وحسب ما يتنامى إلى مسامعي فالربيع قد يكون فيه ربيعان للشعب السوري، ويمكن للمعارضة أن تفكر بدخول أيّ مكان على الأرض، إلا التراب السوري، فهو محرّم عليها وعلى سلالاتها.

وفي هذا المقال لم يكن لديّ بوح لمن أحبّ بصمت وهو لا يدري، ولم يكن عندي بوح باللاحب لمن لا أحب فيصيبني الحرج، ولكني قلت كلاماً لمن هم أعداء وخصوم أكرههم وأحتقرهم، ولذلك فإنني لم أبذل جهداً لتنقية الكلام وغربلته، ولم أغسل كلمة واحدة مما تحمله من سمّ، ولم أسكب قطرة ماء على حرف لأزيل الدم والملح والخلّ، وتركت عذارى المفردات تستلقي عارية على السطور من دون أن أزوّجها من الكنايات والتوريات وبواطن المعاني وصلف الفلسفة أو هيبتها، تركتها من دون أن أسلّط عليها حقد البلاغة على المفردات العذراء المراهقة التي لم تبلغ سنّ الرشد، ولم تعرف دم الطمث ولا ولادة السجع والطباق، ولم يدخل بها علم النحو والصرف بعد.

ولكن هل تفهم الكلاب المربوطة بالسلاسل خارج المنازل؟ وهل تفكر الكلاب أم تشمّ؟ وهل تفهم المعارضة التي اعتادت أكل الجزر والبرسيم والكراهية المقيتة والعناد الأجوف؟ وهل يا ترى تنظر إلى الجزر وتشمّ فيه رائحة العبث واللاجدوى بعد خمس سنوات؟

***

تنويه: ورد في المقال بعض العبارات القاسية على المعارضة، وهي عبارات اقتضاها النص اللغوي ولا تعني بالضرورة إهانة وشتائم، ولكن النص دوما يجب أن يلاقي لغته التي تنسجم مع الحقيقة وألوانها وانعكاساتها وتشابيهها وإن كانت قاسية...